مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 04 / العـدد: 02 (2020)

تداخل الأجناس الأدبية في الرواية الثورية الجزائرية
(وأخير تتلألأ الشمس) لمحمد مرتاض أنموذجا

The overlap of literary races in the Algerian revolutionary novel finally the sun rises by Mohamed Murtaad

د. فتوح محمود
د. قردان الميلود
جامعة تيسمسيلت
Université de Tissemsilt
mahmoud.fettouh@gmail.com
mouloudradwane@hotmail.com

ملخص: يعالج هذا المقال قضية تداخل الأجناس الأدبية في الرواية الجزائرية التي دارت أحداثها في فترة الثورة التحريرية، وكان اختيار رواية وأخيرا تتلألأ الشمس لمحمد مرتاض أنموذجا لذلك، لأن صاحبها يروي وقائعها بصورة واقعية عاشها وتذوق ظروفها، ومن خلالها انفتح الكاتب على جميع الفنون الأدبية داخل نص سردي واحد ليتجاوز به كل الأطر ليجعلها في صورة فنية مشكلة فسيفساء من الاقتباسات منحوتة من وحيه، وقد توصل البحث في ذلك إلى تسجيل الكثير من الفنون الأدبية التي امتزجت بالنص السردي من الشعر والنثر، وكان نصيب الشعر الحظ الأوفر بمختلف أنواعه من الفصيح والعامي، وكذلك الأغاني والأمثال الشعبية والحكمة والعادات والتقاليد، ومنها الأجناس غير الأدبية من الخطاب التاريخي واستدعاء الشخصيات الدينية والأدبية، وذكر الأحداث التاريخية الوطنية والعالمية والأماكن وأسماء القبائل العربية القديمة.

كلمات مفتاحية: الأجناس الأدبية، الرواية. الثورة التحريرية، محمد مرتاض.

Abstract: This article addresses the issue of the overlap of literary races in the Algerian revolutionary novel, The applied model is a novel: finally the sun rises by Mohamed Murtaad, The author realistically recounted its events, which lived through the colonial period, In this work, the writer mentioned all the literary arts And try it in one narrative text He made the text in a beautifully artistic form

of multiple quotations from different texts, The research found that a lot of literary arts were recorded which mingled with the narrative text of poetry and prose, The most present poetry in the novel was of all kinds of eloquence and colloquialism, As well as popular songs and proverbs, wisdom, customs and traditions, among them are the non-literary races of historical discourse and the summoning of religious and literary figures, He mentioned national and world historical events And places and the names of the ancient Arab tribes.
Keywords: Gender; novel; Editorial Revolution; Mohamed Murtaad.

1. مقدمة: إن الدارس للرواية الجزائرية المعاصرة يجد أن هذا الفن الإبداعي جنس هجين منفتح على الأجناس الأخرى، فقد استطاع من خلالها الكاتب المبدع والروائي الجزائري احتضان الكثير من النصوص والعديد من الفنون داخل النص الواحد، فأصبحت الرواية لديه وكأننا "نضع لغتنا وإنتاجنا الخاص للغة ضمن لا نهائية اللغة"[1]، فشكلت لنا "فضاء للتنوع الاجتماعي والتعدد اللغوي المشخص لتنوع الملفوظات والمستحضر لخطاب الآخر"[2]، وكل هذا جاء نتيجة التفاعل والتداخل في النصوص مع خطابات مغايرة وبأنماط متنوعة من الكتابة كالدينية والتاريخية والصوفية... وغيرها التي تسربت إليها عبر الكثير من النصوص السابقة إلى النص الحاضر لتتفاعل معه فتشكل لنا خطابا منسجم الأطراف، وهذا الانصهار في الخطابات يثبت مدى استيعاب هذا الفن الإبداعي من مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبية، ومن هنا فإن تداخل النصوص والخطابات داخل النص الروائي المعاصر عنصر مهم يزيد القارئ تشويقا وبهاء، زيادة على ذلك يستدعي الكثير من النصوص المختلفة من الشعر والأمثال والحكم والحكايات والأساطير... التي تزيد من روعة وجمال العمل الأدبي.

وإن المتأمل في قضية الحدود بين اللغة النقدية والأدبية يجد أنها قد تهاوت لتظهر نظرية النص لتهدم الحدود بين الأجناس الأدبية، بحيث ألغت الفروقات بين النص النقدي والأدبي، لأن النص ليس نسقا مغلقا على ذاته، بل هو "نسيج من الاقتباسات

والإحالات والأصداء، وأعني من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله"[3]، ولهذا جاء الخطاب الروائي المعاصر ليشكل مساحات خصبة تتعارك فيها النصوص الأدبية وتتعالق وتتداخل، وتكفل بتوضيح هذه الأعمال المتداخلة.

ومعلوم أن العمل الروائي الجزائري المعاصر تميز بالعديد من الأعمال الإبداعية التي اتسمت بتفاعل وتداخل النصوص فيما بينها مع مختلف الأجناس الأدبية لتشكل فسيفساء من الاقتباسات منحوتة من وحي المبدع الجزائري، وكلها تحاكي الواقع المعيش وما عاناه وعاشه الفرد الجزائري خلال فترات عصيبة من حياته.

وإن المتمعن في الخطاب الروائي لدى الكاتب محمد مرتاض[4] يجد أن تداخل الأجناس الأدبية في أعماله الروائية ميزة لا تفارق إبداعاته، لأنه يعتبر تداخل النصوص مع غيرها سندا مهما في العمل الإبداعي والتي تسهم بدوها بخلق جو مميز يزيد من جمالية الخطاب الروائي التي يقع بها على نفسية المتلقي بالإيجاب والراحة، لأنه يعتبر هذه الخاصية من أساسيات الإقناع ووسيلة مهمة في الخطاب التواصلي والحجاجي بين الكاتب والمتلقي.

وقد جاءت هذه المحاولة لتكشف اللثام عن مجموعة من الأجناس الأدبية وغير الأدبية التي تتخلّل في روايته ﴿**وأخيرا تتلألأ الشمس**﴾ التي تشكل وحدة كلية متناسقة داخل الخطاب الروائي.

أولا: الأجناس الأدبية: استدعى الكاتب العديد من الأجناس الأدبية داخل عمله الابداعي سواء كان من الشعر العربي أو مختلف الفنون النثرية الأخرى، ومما جاء منها في الرواية نذكرها فيما يلي:

1. الشعر العربي: كان نصيب الشعر العربي الفصيح حاضرا في الكثير من محطات نصوص الرواية، بحيث كانت هذه المقاطع الشعرية المدمجة خادمة لمقاصد المؤلف في

تكسير أحادية اللغة، منها في مقام سرد الكاتب وضعية شخصية البطل توفيق الذي ذهب لخطبة فريدة، فعندما فتحت له الباب لأول مرة ووجدته أمها (رحمة) صدفة معها فحدثته وهي غلقت الباب وكانت تسرق النظر خلف خلل الباب وتسغي للحديث الدائر بينهما، فأراد أن يستطرد الحديث معها حتى تطمئن حبيبته وتخرج، ففتح الباب وإذا به يصادف نظره والدها (مبارك) يقف أمامه بلباس عربي أصيل ذا جلباب صوفي أبيض وعمامة، فارتعشت فريسته وتذكر بيت شعري قديم، قال الكاتب:"فتح الباب، لا لتظهر فريدة، ولكن ليبدو الشيخ مبارك في جلبابه الصوفي الأبيض المرقع، مرتديا عمامة بيضاء على رأسه، قد لفها في شكل دائري دونما نظام، فتذكر البيت العربي القديم، وأمل ألا ينطبق على الشيخ مبارك، ترنم بالبيت في مكمن نفسه: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، متى أضع العمامة تعرفوني"[5]، لكن الشيخ قابله بلطف وأكرمه وعرَّفه على أهل بيته بما فيهم البنت التي أحبها، وكذلك في هذا النص السردي استدعى الكاتب بيت شعري قديم للشاعر المخضرم: سُحَيْم بن وَثيل الرياحي أحد بني حميري، الذي قال هذا البيت في مطلع قصيدته[6]:

أَنا ابنُ جَلا وطَلاعُ الثَّنايا متَى أَضَع العِمامَةَ تَعْرِفُوني

وكذلك ذكر بيت الشاعر المصري أحمد شوقي ت1932م حينما رثى هذا الأخير نفسه عندما كان يتوجس من الأقدار أن تدهمه، وهو تشبيه بالحالة التي كانت تعيشها زوجة البطل توفيق من مأساة طول فترة غيابه وانقطاع أخبارة، فأصبح حالها مشؤوم، وبالأخص عند مرور ذكرى زواجهما، فصور الكاتب حالها بقوله:"تقلبت على سريرها مرات ومرات، وكأنه كان مليئا حجرا وشوكا لا صوفا وتبنا، ثم نهضت وطفقت تناجي نفسها: ...فقد مضى على ذهابه اذن عام كامل، وهذه ذكرى زواجنا مرت منذ شهر، فيالها ذكرى مشؤومة مليئة أحزانا وأشجانا، ...وهل الدنيا إلا شر وشؤم، ووبال ويأس، ثم راحت تردد بصوت متهدّج النبرات:

هو الدهر ميلادٌ فشغلٌ فماتمٌ فذكرٌ كما اتقى الصدى ذاهب الصوت"[7]

ومصدر هذا البيت لأحمد شوقي[8] الذي أرسله في رثاء الشيخ محمد عبده سنة 1905م ضمن ثلاثة أبيات ليلقى على مسامع الحضور حينما وقف سبعة شعراء على قبره يرثونه، ومطلع البيتين المتبقيين هما:

مفسر آي الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت

رحمت، مصير العالمين كما ترى وكلّ هناءٍ أو عزاءٍ إلى فـوت

فحسرة الشاعر لفَقْد رفيق دربه وتأسفه عليه، شبيه بالمشهد الذي أحضره الكاتب في نصه من فَقْد الزوجة فريدة لزوجها وانقطاع أخباره والفراغ الرهيب الذي تركه في القلب، وصنع من وراءه الشؤم والنفور من الحياة بعده وذهاب حلاوة الدنيا بأكملها.

2. الأدب الشعبي: الممثل في:

أ. الكلمات العامية في اللهجة المحلية: استدعى الكاتب الكلمات العامية في نصه السردي من أجل المحافظة على التراث الجزائري والسعي لبقائه على لسان المثقف في البيئة، وبخاصة الكلمات المتعلقة بالحِرَف وما تنتجه اليد العاملة بالوسائل التقليدية من النسيج والخياطة، وقد استدعى هذه الكلمات في مقام تعرّف شخصية البطل توفيق على عائلة عشيقته فريدة التي كانت "تلزم البيت لا تريمه، وأن أختها ووالدتهما يقضين معظم أوقاتهن في الخيمة يقمن بنسيج الحصر أو الفراش المختلفة ﴿**لاموضة، بورابح، الحشايشي**...﴾ ، وكان العمل لديهن متواصلا من غير أناة ولا توان"[9]، فدلالة هذه الكلمات لا يعرف معناها الكثير من الجزائريين، لأنها متعلقة ببيئة خاصة، ومعانيها متعلقة بالفراش وأنواعه تختلف مسمياتها من بيئة لأخرى في اللهجات المحلية داخل بيئة الجزائر.

ب. الأغنية الشعبية: ركز الكاتب على الأغاني الشعبية في عمله الروائي، لأن الفترة التي كان يحاكي فيها السرد مرتبط أشد الارتباط بالموروث الشعبي من الأغاني والأمثال الشعبية والألغاز وغيرها، وبخاصة خلال فترة الثورة التحريرية، لأنها كانت السند المعين في الترفيه والاستئناس ومحاولة نسيان الظروف الاجتماعية وأحوالها، وقد استدعى الكاتب الأغنية الشعبية في الفترة التي توجه فيها شخصية البطل توفيق إلى بيت البنت

فريدة التي سلبت عقله وأخذت قلبه فأصبح يتبع هواها ويستنشق أخبارها، وأراد أن يراها ليتقدم لحطبتها، وقد ذكر الكاتب الأغنية الشعبية المعروفة في أوساط البيئة الجزائرية (**من بعيد حبيتك**) حينما وصل إلى بيتهم و"طرق الباب مرتعشا، سمع خطوات من بعيد مقبلة من حوله، فتذكر أغنية (من بعيد حبيتك) لكنه هو الآن بقربها، أوحى إليه غرامه الجارف أنها هي، فتقدم إليها وصافحها على بغتة، حتى لا تجد هي بدورها بدا من ردّ التحية بأحسن منها، وسخر من نفسه، لأنه لا يقدر على فعل ذلك، وعزم على الفرار، لولا أنه لمح عن بعد أمها العجوز قادمة إلى المنزل مصادفة لتأخذ بعض الصوف، فما كان منه إلا أن لزم مكانه وطفق يوبخ نفسه، ويلعن شيطانه على الإيقاع به في هذا المأزق الذي لا مخرج منه"[10].

وبعد أن تحررت الجزائر من العبودية والاستعمار أصبح اللسان الشعبي الجزائري يردد الأغاني المفرحة بهذا الانتصار، ومن بين الأغاني التي استشهد بها الكاتب في روايته ما جاء على لسان فريدة، قال:"لم تذكر فريدة شيئا مما أتته في حلقات الأفراح، ولم تع شيئا مما كانت العذارى والحسان يتغنين به، ولم تحفظ ذاكرتها إلا هذه الأبيات التي كان لها فضل هي أيضا في تأليفها:

بلادي تحررت، وسهولي اخضوضرت،
جبالي ازينّت وأعلامي رفرفت
الجنود قد ارتاحوا وجهودهم اثمرت
فاهدوا الورود ثم الزهور لكل فرد من الثوار
وانشروا الوئام كما الطيور
وطني اهنأ بأبنائك الأحرار"[11].

ومثل هذه الأغاني تكثر في البيئة الجزائرية ولا تزال على ألسنة بعض المجاهدين الثوار، وبعضها مدون في الكتب والمقالات المتعلقة بالتراث الشعبي الجزائري ابان الثورة التحريرية.

ت. المثل الشعبي: يعدّ المثل الشعبي علامة لازمة للحديث عن الواقع الاجتماعي للفرد؛ لأنه يستجيب لمقتضيات التواصل بين الشخصيات، وقد استدعى الكاتب في روايته

المثل الشعبي:(**ألي قصرت رجلو عز مكانو**)، ومعناه: من قصر في الزيارة عندنا كان مكانه عزيز لدينا، وهذا التوظيف جاء مناسبا في مكانه، نظرا لتهافت الكثير من الناس على بيت والد حبيبته فريدة لخطبتها، وكان هو أول حضور له، وقد قيل له هذا المثل في الحوار الذي دار بينه وبين أم فريدة اسمها: (رحمة) حينما وجدتهم يتحدثان صدفة على عتبة باب منزلها، وقد عرفته أنه جارها، وكانت دوما تفكر في التعرف عليهم، لأنهم جاءوا جيران جدد، ولكن البيت لم يفرغ من حركة الناس، فقالت:"كان بودي أن أقدم للتعارف معكم، بيد أني ارتأيت بالاتفاق مع عمك مبارك أن ندعوكم إلى منزلنا قبل أي اتصال، وحاولنا عبثا أن يفرغ البيت في أمسية من الأمسيات، وكأن الناس في زماننا هذا لم يعودوا يعون المثل السائر: (**ألي قصرت رجلو عز مكانو**)"[12].

ث. الحكمة: هي الكلام ذات معنى الصائب يصيب الهدف متى كان سياقه، وقد وظف الكاتب حكمة المعروفة عن الرضا دون اصدار أي حركة أو كلام، وهي:«**الصمت علامة الرضا**» في مقام خطبة البطل توفيق لحبيبته فريدة من أهلها، وما كان من عشيقته التي استرقت الخبر أن تحرك ساكنا من ردة الفعل أي حركة من الخبر المفرح، وقد وصف الكاتب المشهد بقوله: "لم ترقص أو تزغرد كما تفعل كثيرات من مثيلاتها المخطوبات، ولكنها التزمت الصمت، وإن كان «الصمت علامة الرضا» "[13]، وهذه الحكمة متداولة كثيرا في أوساط البيئة الجزائرية على طلب الموافقة والرضا بما طُلب.

ج. العادات والتقاليد: نجد في هذه الروية عادة **كذبة أبريل أو** كذبة نيسان، وهي مناسبة تقليدية معروفة عند الكل، تقام في العديد من الدول حول العالم في كل عام من الفاتح من شهر أفريل، يعمل فيها على خداع الآخرين بقضية تجلب انتباهه وتثري انشغاله، فأصبحت عادة جارية ومتوارثة عبر الأجيال، وقد أخذ الكاتب هذه العادة ووظفها في روايته في مقام النفس الجوانية التي كانت تحدث زوجة البطل توفيق من وصول أخباره بأنه استشهد، ةهذا الخبر لم تصدقه وعدّته من الكذب الذي يتراود على الألسن من كل شهر أفريل تيمنا بالعادات، قال:"كانت توطئ نفسها على الصبر، وتحدثها بأن الاستقلال لما يظل أوانه بعد، وأن هذا الخبر كذبة أبريل، وأن زوجها حي يرزق"[14].

ثانيا: الأجناس غير الأدبية:

- **الخطاب التاريخي:** هو ذكر النصوص التاريخية المنتقاة من النص الأصلي مؤدية غرضا فنيا أو فكريا أو كليهما معا[15]، وتمثل في الرواية الأنواع التالية:

1. استدعاء الشخصيات: تكثر الشخصيات التي استدعاها الكاتب في عمله الروائي هذا، وتتعدد بتعدد الدور الذي جسده فيها، منها ما تعلق بجانب الوعظ والارشاد ومثلت بشخصيات دينية، وأخرى بالصلابة الموقف وقوة البأس والتغلب على الصعاب بالقلم بالشخصية الأدبية، والتاريخية التي أعطت درس وسجلت أثارها وأصبحت مثالا يقتدى بها، وهي كالتالي:

أ. الشخصيات الدينية:

❖ **شخصية النبي زكريا:** ذكر الكاتب شخصية النبي زكريا حينما سرد الجلسة الحميمية بين والد حبيبته وعشيقها توفيق، فعرّفه بعائلته المكونة من الشيخ الهرم - يقصد نفسه- وعجوز-زوجته- وثلاث بنات، وهنا انتابته حصرة أنه لم يرزقه الله بولد ذكر حتى يكون له سند يتكأ عليه في العائله ويرثه بعده، ويكون بطل يضحى به في سبيل الجزائر، لكن الله لم يكتب له ذلك بعد دعوته، وهذه الرغبة كل الناس يتمنونها منذ أزل قديم، وهنا استذكر الكاتب قصة النبي زكريا في ذلك فقال:"أنا آسف لأنني لم أرزق ولدا ذكرا وإلا اندفعت به إلى الجهاد في سبيل الله والوطن، إن عائلتي ليس فيها إلا الضعفاء: شيخ وعجوز وبنات، إنها إرادة الله يا بني وهو الفعال لما يريد واغرورقت عيناه بالدموع ثم التفت إلى توفيق والعبرات تخنقه، وقال بصوت متهدّج: اللهم لا اعتراض على قضائك، ولكنها رغبة الانسان في الخلف منذ الأزل إلى الزوال، ألم يلتمس **النبي زكريا** من الله أن يرزقه غلاما يرثه ويرث من آل يعقوب؟"[16].

❖ **شخصية قابيل وهابيل:** لقد تحدث القرآن الكريم عن قصة قابيل وهابيل، والتي تعدّ أول قصة قتل حدثت في تاريخ القصة البشرية وما جاء من وراءها من ندم وحزن[17]، والكاتب استدعى هذه القصة وأحزانها ليسقطها على دور شخصية زوجة البطل توفيق الذي سمعت أنه استشهد وقد مضى عام عليه ولا تزال الزوجة فريدة حزينة عليه ونادمة

على موافقته للالتجاق بصفوف جيش التحرير الوطني، وهنا "بادر الناس إلى الحماة وإلى الأب طالبين يد فريدة، وهم متظاهرون بالبصيرة النافذة والعقل المتزن والتفكير الرزين: ماكان كان، الماضي لا يعود والحاضر لا حيلة لنا في تغييره، كما أننا لا نملك تغيير طبيعة وجودنا في الحياة، إن التغيير لا يتم بمجرد أن نقيم الحداد على الفقيد لمدة طويلة... والأحزان لم يعرف عنها أنها غيرت من ناموس هذه الحياة شيئا، فلم تردّ منذ أن كانت قريبا أو حبيبا ولم ترجع عزيزا أو غائبا، ولو كان الأمر كذلك لأرجع **حزن قابيل وهابيل**"[18]، فالمشهد في النص السردي حول الحزن والندم يتشابه مع القصة القرآنية في الندم والألم الذي تبع عملية القتل وما خلفه من آثار نفسية سلبية.

ب. الشخصيات الأدبية: استدعى الكاتب شخصية **المتنبي ومرضه بالحمى** في روايته التي صور لنا فيها المجاهد الكهل الذي كان في صفوف جيش التحرير الوطني واصابته **بالسعال الشديد** وشبهه بالأثر الظاهر عليه والمرض الفاضح، مما أدى بهم للاستغناء عنه من رفقائه وأحالوه إلى المعاش، وهنا ميزه الكاتب وقال عنه لو كان شاعرا لوصف سعاله مثلما فعل المتنبي مع حمته، فقال عنه:"لما لاحظوه من ضعفه المطرد على الرغم من عزيمته الفولاذية واقدامه المستبسل، ورأوا أنه في الآن ذاته خطر عليهم، طالما بقي ضمن صفوفهم، لأن السعال اللعين لم يكن يفارقه لحظة واحدة، ولو كان شاعرا لمسخه بقصيدة على غرار التي وصم بها المتنبي الحمى"[19]، والتي قالها بمصر وعرض بالرحيل منها وذلك في ذي الحجة 348هـ، يقول في مطلعها[20]:

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ المَلامِ وَوَقعُ فَعَالِهِ فَوقَ الكَلامِ
ذَرَاني وَالفَلاةَ بِلا دَليلٍ وَوَجهي وَالهَجيرَ بِلا لِثام

ت. الشخصيات التاريخية:

❖ **شخصية هاملت:** هي في الأصل مسرحية ألفها الإنجليزي شكسبير عن قِصة الأمير هاملت الدانماركي، تدور أحداثها حول هاملت الشاب الذي يُعاني من سلوك أمه التي تزوجت من عمه بعد شهر واحد من وفاة والده، وعندما يظهر شبح الأب لهاملت ويخبره أنه قُتل على يد عمه يبدأ هاملت في التحضير للانتقام من قاتل والده[21]، واستدعاء هذه

الشخصية التاريخية في عمله الروائي ناتج عن الفرحة العارمة التي أصابت زوجة البطل فريدة برؤية حبيبها بعدما تكلمت عنه الألسن وقالوا عنه أنه قد استشهد، ليظهر أخيرا امامها، فتكلمت بحروف لكن لسانها تعثر في نطقها، "ولم تتمم العبارة فقد سقطت مغشيا عليها، تخيلت أن هذا شبحه بعث ليزورها، أو طيفه أقبل ليداعبها، وكأنها على دراية بقصة **هاملت**"[22]، فالمشهد مستدعى من القصة التاريخية القديمة ليعطي من خلاله للقارئ مدى الخيال الواسع للكاتب في استحضار الأحداث ومشاهد القصص التي كان لها صدى في تاريخ الأدب العالمي، لتشابههما في المشهد.

2. الأحداث التاريخية:

أ. مفاوضات ايفيان: استدعى الكاتب حدث **اتفاقية ايفيان**، وهي في الأصل مفاوضات جرت في 18 مارس 1962 بين القادة الوطنيين من الحكومة المؤقتة الجزائرية وبين الموفد الفرنسي في عهد الجنرال (**ديغول**) بمدينة ايفيان الفرنسية، من أجل وقف اطلاق النار والتفاوض في جعل حل مرض للطرفين للحرب الطاحنة بينهما، وهذا المشهد استنبطه ووظفه الكاتب في الرواية بعدما وصل خبر للزوجة فريدة من أن البطل توفيق على قيد الحياة وأنه يجاهد في المنطقة الثامنة في الجنوب الجزائري ولا يستطيع الحضور بسهولة لبعد المسافة، غير أن الزوجة لم تصدق هذا الخبر، وازداد ولعها بتذكر حبيبها فأصبح الحزن والكدر حليفها، وهنا لم تصدق أحد فيما يقال عنه، فأردات حماتها أن تطمئنها "فقربت إليها مذياعها الصغير، وقالت لها: بالله عليك ألا أصغيت لما يقول، ثم أوضحت لي ما لم أحط به فهما! انه صوت الجزائر المجاهدة، يلمّح إلى المفاوضة بين جبهة التحرير، وبين قادة الاستعمار الفرنسي في ﴿افيان﴾"[23].

ب. عيد النصر للجزائر: هو اليوم المصادف لـ 19 مارس 1962م، وهو تاريخ إعلان وقف إطلاق النار في الثورة التحريرية الجزائرية، وقد جاء كنتيجة اللقاء لمفاوضات ايفيان بين الحكومة الجزائرية المؤقته وفرنسا، وهذا التاريخ كان مشهد مميز في سرد الكاتب، بحيث سرد الفرحة العارمة التي ألمت بقلب الزوجة فريدة التي طال حزنها المرير واشتد صبرها الطويل، فبمجرد الإعلان أطلقت العنان لنفسها بالزغاريد وعبرت عن فرحتها بكل الطرق والسبل، قال:"دقت ساعة منتصف نهار التاسع عشر من مارس 1962 فأعلنت

دقاتها نهاية القتال في الجزائر بين المجاهدين والاستعماريين، فدق قلبها مع عقربي الساعة وصفقت يداها وارتفعت حنجرتها الساحرة بزغرودة، بل بزغاريد دوّت في الفضاء، وشقت عنان السماء، كما كان رصاص زوجها يزمجر فيبيد الأعداء"[24].

3. **الأماكن:** تكثر الأماكن التي استدعاها الكاتب في روايته لتمثل الواقع الحي لما فعله المستعمر الفرنسي في أرض الجزائر من نهب خيراتها وتدمير مستثمراتها وغرس أراضيها ألغاما وأسلاك شائكة من أجل القضاء على العنصر البشري فيها، وقد ذكر الكاتب بلدة **مسيردة**، وهي في الأصل بلدية تقع في أقصى الغرب الجزائري، وهي تابعة اقليميا إلى دائرة مرسى العربي بن مهيدي التابعة لولاية تلمسان، وهي في الأصل بلدية مسقط رأس الكاتب وموطنه إلى مرحلة شبابه، وقد وظفها في الرواية ليوضح للقارئ المعاناة التي عايشها الكاتب وكان يعيشها الشعب الجزائري آن ذاك ، وقد مثَّلَ لها بشخصية البطل توفيق الذي كان يسكنها، لكن مستدمرات الاستعمار أرغمته على الرحيل مع عائلته منها، وقد قال عنها الكاتب:"توفيق يعلم ما فعله الاستعمار في بلده ﴿**مسيردة**﴾ هذه البلدة الغالية التي بعد أن كانت بساتين نضيرة وحقولا خضراء جميلة، غدت حقول ألغام مهولة، وامتلأت هذه الأرض الطيبة أشواكا ونتوءات وأسلاكا شائكة ومكهربة، هدمت بيوتها فصارت دارسة، وعفت طرقها فلم تعد معلومة ولا معروفة"[25].

واستدعى كذلك العديد من المناطق والأماكن الموجودة عبر التراب الجزائري، في مقام تتبع زوجة البطل فريدة أخبار زوجها توفيق الذي التحق بصفوف جيش التحرير وانقطعت اخباره، فأصبحت تتحسس وتسمع الأخبار في المذياع وتقرأ في الجرائد الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني، قال:"كانت تقرأ أن المجاهدين استولوا على المركز الفلاني أو هاجموا مواقع حصون العدو التي كانت متواجدة عبر التراب الوطني، ... لذلك لم تكن فريدة في حاجة إلى ذكر مدينة معينة، وبوساطة المعارك اليومية تمكنت من أن تعرف كل المدن تقريبا وبعض القرى الجزائرية، فكانت تسمع﴿**زندل، جبال الأوراس، السواعل، جبال جرجرة، جبل عصفور، مجيعة، وهران، عنابة، ...**﴾، وكانت تطمئن نفسها وتعزيها أن زوجها قد يكون مازال حيّا يرزق"[26]، فكل هذه الأماكن موجودة في التراب الجزائري، وقد

استدعاها الكاتب في النص السردي ليثبت مدى الأثر الفعّال الذي حققه الثوار من انتصارات في هذه الأماكن.

وقد كان كذلك للأماكن الغربية نصيب من الحضور، فقد استدعى الكاتب قصة بعض **أقاليم الهند**، التي تحتفظ بعض نسائها بالود والمحبة والوفاء لزوجها، وفي حالة وفاته ستحرق نفسها من أجله، واستحضر الكاتب هذا المشهد في روايته في مقام الحب الذي عقدته فريدة لزوجها بقلب صاف وأعلنت أن لا يدخل غيره بعده –بالرغم من توافد الخطّاب لأهلها-، لشدة ايمانها بمعتقدها، وهنا قال عنها:"ولولا أنها شديدة الإيمان لصنعت كما تصنع النساء في بعض أقاليم الهند، فأحرقت نفسها، لتكون هناك إلى جوار حبيبها الذي لا تبغي به بديلا، ثم طلبت إلى حماتها وأبيها أن يمنعا أي شخص تسول له نفسه خطبتها"[27]، فالوفاء والود والإيمان بالحب الصادق جعل من الكاتب يستحضر بعض عادات نساء أقاليم الهند للتعبير عن الحب الصادق والعفاف والوفاء للحبيب.

4. استدعاء أسماء القبائل: لقد وظف الكاتب القبائل العربية القديمة في مقام وصف السُبل والحيل لوصول شخصية التوفيق إلى والد فريدة التي كان يعشقها في صمت رهيب دون علم أحد، حينما أراد التقدم إلى عائلتها، لكن الخوف والارتباك وشدة الخجل عقّد من شخصيته وأصبح يناجي نفسه، لأنه لا يعرف والدها جيدا وأصبح يفكر كيف يتجرأ ويفاتحه في خطبة ابنته؟، وبعد شدّ ومدّ تجاوز كل الصعاب وعزم على ثقة نفسه من أنه جزائري والبنت التي يريدها من أصل جزائري، واقتنع بفكرة أنه لا يهمه من أي قبيلة جاء، فقد مر وقت التفكير في مثل هذا النزاع التي كانت القبائل العربية القديمة متناحرة عليه آن ذاك، وشبه الكاتب قبيلته **بقبيلة الأوس والخزرج** التي كانتا لهما مكانة في الجاهلية، لأنهما قبيلتان انسجمتا وتجاورا في يثرب بالمدينة المنورة وأصبحوا يعرفوا بالأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين وأووهم، والكاتب استدعى القبيلتان في مقام توافق وانسجام عائلة توفيق مع عائلة محبوبته، فقال:"ثم إني جزائري وهي أيضا جزائرية بالرغم من أننا متباعدان أصلا ومنشأ، أواه، هذا لا يهم، حسبي أنني جزائري، بعد اندلاع الثورة لم يبق مكان لتلك الفوارق التي كانت كثيرا ما تؤدي إلى

المشاحنة والخصام بين القبائل، بدعوى أن ذلك لا ينتمي إلى القبيلة الفلانية، وأن هذا ليس من القبيلة الشريفة، وكأن قبيلتي الأوس والخزرج الجاهليتين قد بعثتا إلى الوجود، فلأذهبن الآن ولأختلقن مشكلة ذات بال على الأقل، حتى لا يقال عني أني سخيف!"[28]، وقد تجاوز كل الصعاب وتقدم إلى أهلها.

وفي الخاتمة نقول: إن هذه الرواية قد حفلت بالكثير من النصوص المتداخلة من مختلف الأجناس الأدبية داخل العمل الإبداعي، وقد أعطته صبغة فنية جمالية كست خطابه الروائي، وتعدّ هذه الخاصية من أساسيات الإقناع لديه ووسيلة مهمة في ربط جسر التواصل في سرد الأحداث بين المبدع والمتلقي، والمتأمل فيها يجد تنوع تداخل نصوص الأجناس الأدبية في الرواية ين النصوص:الأدبية والتاريخية، ففي النصوص الأدبية قد تنوعت بين الشعر العربي الفصيح والأدب الشعبي الممثل في الأغنية الشعبية والأمثال والحكم وتوظيف الكلمات العامية والعادات الشعبية، أما غير الأدبية تمثلت في الخطاب التاريخي الذي ركز فيه الكاتب على استدعاء الشخصيات الدينية مثل شخصية النبي زكريا والأدبية كشخصية المتنبي والتاريخية كشخصية هاملت، وذكر كذلك الأحداث التاريخية كمفاوضات ايفيان وعيد النصر للجزائر، والأماكن الموجدة حاليا في بيئة الجزائر وبعض أسماء القبائل العربية، وقد شكل هذا التداخل بين النصوص من مختلف الأجناس الأدبية تفاعل نصي شكل فسيفساء من الاقتباسات أعطت جمالا للنص الروائي.

هوامش الدراسة:

[1] رولان بارت: نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي/ مركز الانماء الحضاري، بيروت لبنان، ط1، 1994م، ص37.

[2] آمنة بلعلي: الحوارية عند الحبيب السايح، ضمن كتاب الملتقى الخامس لعبد الحميد ابن هدوقة أعمال وأبحاث، منشورات وزارة الاتصال والثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريرج، ط5، 2002، ص99.

[3] رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 1993م، ص63.

[4] أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية بجامعة تلمسان الجزائر.

[5] محمد مرتاض: رواية وأخيرا تتلألأ الشمس، ص23

[6] ينظر: أبي سعيد عبد الملك بن قريب: ديوان الأصمعيات، تحقيق محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت لبنان، ط2، 2005م، ص20. وينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر، ج1، ص255.

[7] المصدر نفسه، ص64.

[8] ينظر: أحمد شوقي: الشوقيات، دار العودة، بيروت لبنان، دط، دت.

[9] محمد مرتاض: رواية وأخيرا تتلألأ الشمس، ص20_21.

[10] المصدر نفسه، ص21.

[11] نفسه، ص78.

[12] نفسه، ص22.

[13] نفسه، 46.

[14] نفسه، ص71.

[15] ينظر: أحمد الزغبي: التناص التاريخي والديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية رؤيا لهاشم غرايبة، مجلة أبحاث اليرموك، مج13، ع1، 1995م، ص177.

[16] محمد مرتاض: وأخير تتلألأ الشمس، ص27.

[17] ينظر: محمد غنيمي هلال: الموقف الأدبي، دار العودة، بيروت لبنان، دط، ص84، والأدب المقارن، دار العودة، بيروت لبنان، دط، 1999م، ص316

[18] محمد مرتاض: وأخير تتلألأ الشمس ، ص69.

[19] المصدر نفسه، ص33.

[20] ينظر: المتنبي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دط، 1983م، ص482.

[21] ينظر ملخص رواية هاملت عبر الموقع الألكتروني: www.mawdoo3.com

[22] محمد مرتاض: وأخير تتلألأ الشمس، ص81.

[23] المصدر نفسه، ص75.

[24] نفسه، ص75_76.

[25] نفسه، ص26.

[26] نفسه، ص61_62.

[27] نفسه، ص71.

[28] نفسه، ص19_20.